يعون ذلك.

إدارة الصراع

قلنا أن استقلال الكيانات العربية تم من خلال المواجهة، ومن ثم التسوية مع الدول التي استعمرت المنطقة، في ظل صعود قوى دولية جديدة على المسرح العالمي (الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي) كمحصلة للحرب الكونية الثانية. وفي إطار تنظيم العلاقات الكونية الجديدة (اقتسام إرث الدول الاستعمارية) تحدد ما عرف باسم «مناطق النفوذ» بين العملاقين، الأميركي والسوفياتي (إتفاقية يالطا)، فتحددت بذلك الحدود التي وصلت إليها جيوش العملاقين في تلك الحرب، كما تحددت تخوم نفوذ كل منهما خارج تلك الحدود كمناطق قابلة لنشاط الطرفين فيها (مع الأخذ بعين الاعتبار فارق الدوافع لدى كل من العملاقين وطريقة إدارته للصراع الكوني بحكم طبيعة النظامين الطبقية والأيديولوجية). وعمل كل من النظامين لتغيير الحدود والتخوم: فاعتمد النظام الراسمالي على ربط دول المحيط (إذا اعتبرنا أن الغرب مركز) به من خلال ربط مصالح الطبقات المهيمنة في تلك الدول به، وانتشرت بذلك ما عرف تحت اسم «البورجوازية الكومبرادورية» في دول العالم الثالث، بينما حاول النظام الشيوعي (باعتباره مركزاً موازياً) تحريك الصراعات الاجتماعية داخل دول المحيط (دول العالم الثالث) لتوليد الثورات ضد النظم القائمة (مستفيداً بذلك من نشر الأيديولوجيا الشيوعية وإنشاء الأحزاب المعبرة عنها).

في ظل هذا الصراع الكوني الذي حمل اسم «الحرب الباردة»، والذي لم يخل من فترات «وئام»، حاولت الدول الواقعة خارج الحدود المباشرة للعملاقين (دول العالم الثالث)، بدافع انجاز الاستقلال التام، إقامة نوع من التوازن (عدم الانحياز)، فكانت الكتلة الدولية الثالثة، التي قامت تحت ستار ذلك التوازن، خليطاً غير متجانس، ولم تتمكن من إنشاء علاقات فيما بينها متوازنة مع نمط العلاقات القائمة في كتلتي العملاقين، فكانت ساحة مفتوحة لنشاط العملاقين، على الصعيدين الاقتصادي والسياسي. ولم تكن الكتل الأخرى التي قامت، أو أقيمت، على هامش كتلة عدم الانحياز وفي إطارها (منها ما هو سابق لاقامة الكتلة) بأفضل حالاً (جامعة الدول العربية، منظمة الوحدة الأفريقية، منظمة دول المؤتمر الاسلامي، منظمة الدول المصدرة للنفط، الخ)، حيث ظل تطلع دول المحيط العمل للانخراط في المركز الراسمالي (باستثناء الدول التي اعتنقت الشيوعية)، حيث مصالح الطبقات والفئات الحاكمة في تلك الدول. وحتى حركات التحرر، وهي في طور صعودها، حُكمت بهذا التطلع، بالرغم من اعلان قادتها أن صراعها، في التحليل الأخير، صراع مع ذلك المركز الذي تتطلع إليه، ولذا كانت تخوض الصراع من موقع الاختلاف وليس التناقض، وهذا ما جعلها ميالة إلى «التسوية بالتراضي» التي كانت تتم تغطيتها تحت شعار «تحقيق الذات الوطنية» واعتماد مبدأ المرحلية، وكان الأمر ينتهي على حساب الشخصية الوطنية، والمرحلية تتأبد.

لا يشذ وضع الكيانات العربية عن القاعدة السابقة. فالفئات الحاكمة في بعض البلدان العربية ترتبط مصالحها بالغرب الراسمالي، وبالمحصلة، لم تكن قادرة على خوض صراع عدائي معه، ففي ذلك اضرار بمصالحها. وهي لم تسمح، ولن تسمح، لأي جهة في المنطقة بالذهاب إلى أبعد من الضغط من أجل المساومة على ترتيب تلك المصالح في إطار المركز. ولذا